﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ [الأنبياء: 110]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّناسُبُ بين علم الله بأقوال النّاس وعلمه بموعد حسابهم

بعد أن ذكر في الآية السّابقة ما استحقَّه النّاس المُنكرون من التّهديد والوعيد، وبيّنت أنّ وعيد الله لهم آتٍ لا محالة، وأنّ الرّسول لا يعرف موعده إن كان قريبًا أم بعيدًا، فهو من علم الغيب الَّذي لا يعلمه إلّا الله تعالى؛ ناسبَ أن يذكر هُنا أن الله تعالى يعلم كلَّ شيءٍ من الجهر أو الكتمان، وأنّكم ستُحاسبون على ذلك كلّه في يوم القيامة الَّذي سبق أن ذُكر في قوله: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: 97] وقوله: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَكۡتُمُونَ﴾: أصلُ الكِتْمانِ يدُلُّ على إخْفاءٍ وسَتْرٍ، يُقال: كَتَمَ السِّرَّ، يَكْتُمُهُ، كَتْمًا وكِتْمانًا، أيْ: أخْفاهُ عن النّاسِ، وسَتَرَهُ، ولم يُفْشِهِ[1]، والمُرادُ بالكتمِ والكِتمانِ في الآية: إخفاء الشّيء قصدًا مع تحقُّق الدّاعي إلى إظهاره[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللـه سبحانه عالـم الغيب والشّهادة والسّر والجهر والباطن والظّاهر

إنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم ما تجهرون به من الطَّعن في الإسلام، وتكذيب الآيات، ويعلم ما تكتمون من الأضغان والعداوات للمسلمين، فيجازيكم على قليل ذلك وجليله، وإذا كان الله يعلم الجهر وما يخفى، وهو مُجازٍ عليهما لا محالة؛ كان على العاقل البصير أن يُخلص النّية لله تعالى، وأن يصون لسانه وقلبه عن الوقوع فيما يوبقه من القولِ والنّيَّةِ وسوءِ الظَّن[3].

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (كتم).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 1/ 354.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 17/ 80، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1167.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فصل هذه الآية عمّا قبلها:

امتناع حصول الإيهام في المعنى

قُطعت هذه الآية عمّا قبلها لكمال اتِّصالهما، لأنَّها تعليليَّةٌ، والمقصود منها تعليل الإنذار بتحقيق حلول الوعيد بهم، وتعليل عدم العلم بقربه أو بعده، عُلِّلَ ذلك بأنَّ الله تعالى يعلم جهرهم وسرهم، وهو الَّذي يؤاخذهم عليه، وهو الَّذي يعلم متى يحلُّ بهم عذابه[1].

المتشابه اللفظيُّ مع سورة الأعلى:

الأمر بالإخلاص وترك النّفاق

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: 7]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ فقد حدّد الجهر في سورة الأنبياء بالقول، لأنَّه طلب منهم الجهر بكلمة الإسلام، فقال لهم: فهل أنتم مسلمون؟ والمقصود هنا الأمر بالإخلاص وترك النفاق، و﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ حال من الجهر.[2] ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾؛ أي: ما تجاهرون به من الطَّعن في الإسلام وتكذيبِ الآياتِ الَّتي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ﴾ من الأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه[3]، فاقتصر على ﴿ٱلۡقَوۡلِ﴾ هنا، وأمّا في سورة الأعلى فقال: ﴿ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: 7]؛ فلم يُحَدَّدا بشيءٍ، فهما عامّان في كلّ شيء في هذا الخلق، وهو منسجمٌ مع سياق الآيات في قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: 3]، فـ (التّقدير) هنا عامٌّ و(الهداية) عامّةٌ في جميع أنواع خلقه، فكلُّ خلقٍ ممّا خلقَ الله له جهر وله ما يخفى من الأصوات والأشكال والأفعال.

دلالة التأكيد في صدر الآية:

إزالة الشّكوك عند المُخاطبين

في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ فقد صدّر الآية بالتَّوكيد بـ (إنّ)، والتّوكيدُ مع الأسلوب الخبريِّ يفيدُ أن يكون أسلوبًا طلبيًّا،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 174.
(2) ابن عادل، اللّباب: 13/ 626.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 89.

وهو ما يُلقى إلى مُخاطبٍ يتردَّد في تصديقه، فأكّده بمؤكِّدٍ واحدٍ كي يزيل هذا التّردّد، ومناسبة هذا الخطاب هو استمرارٌ لقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ فاستبطأ ردّهم وإجابتهم، فجاء التّأكيد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

دلالة التعبير بالإضمار ﴿إِنَّهُۥ﴾ دون الإظهار (إن الله):

ارتباط وحدانيّة اللـه بالتّفرّد بالعلم

في قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾؛ فقد عبّر بالمضمر ﴿إِنَّهُۥ﴾ دون إظهار لفظ الجلالة، والأصل في الكلام والمُحَدَّثِ عنه أن يكون ظاهرًا، وأنّه إذا ذُكِرَ ثانيًا أن يُذكر مضمرًا؛ للاستغناء عنه بالظّاهر السّابق، وقد سبق هنا قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، ثمّ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾، فاستغنى عنه بالظّاهر السّابق، ولبيان صلة هذه الآية بالآية السابقة، فهو إلهُهُم الواحد، الَّذي يعلم ما يجهرون به من القول، وما يكتمونه، وهو العِلْمُ الَّذي لا يقدر عليه إلّا الله الواحد.

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَعْلَمُ﴾:

يفيد المضارع في قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ الدّلالة على ما يتجدّد من العلم في كلّ لحظة في صدور النّاس؛ ممّا يُعلنونه وممّا يُخفونه؛ وهذا ما لا يُدركه أحدٌ من الخلق.

سِرُّ التَّعبير بالجهر دون الإعلان:

الجهر يدلّ على رفع الصّوت

قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾؛ الفرق بين الإعلان والجهر: أنَّ الإعلان خلاف الكتمان، وهو إظهار المعنى للنَّفس ولا يقتضي رفع الصَّوت به، والجهرُ يقتضي رفع الصَّوت به، ومنه يقال رجل جَهيرٌ وجَهْوَري إذا كان رفيعَ الصَّوت[1]، فذكرَ الجهرَ من القول، وطابقه بالكتمان ليدلّ على الشّمول لجميع ما ينطق به النّاس، قال: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 60.

﴿يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: 7] وهذا ما سيحاسب الله عليه النّاس؛ ثمّ إنّ الجهر من القول، لا يقلّ أثرًا في القلب عمّا هو خفيٌّ في الصّدر؛ فلابدّ من توافق ما يُظهِرُ الإنسان مع ما يُخفي، وإن اختلفا فهو النّفاق.

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡجَهۡرَ﴾:

التّعريف بـ (أل) في قوله: ﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ أفاد استغراق كلِّ أشكال الجهر من القول، وتدخل هُنا جميع مستويات الصّوت البشريّ؛ فعلى الإنسان أن يراقب أقواله وطريقته في الجهر بالقول؛ وأن ينسجم ذلك مع دواخل النّفس.

انسجام الدواخل مع المجهور من الأقوال

دلالة ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾:

قوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾؛ ﴿مِنَ﴾ هنا بيانيَّة، لبيان المقصود به في قوله ﴿ٱلۡجَهۡرَ﴾، وفائدتُها هنا محاسبة النّفس على ما يجهر به اللِّسان من القول مبتدئًا باختيار حُسْنِ ألفاظه، وموافقة جَهْرِه سرَّه.

اختيار الألفاظ عند الجهر بالقول

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡقَوۡلِ﴾:

التَّعريف بـ (أل) في قوله: ﴿مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أفاد غرض استغراق جنس القول، فدلّ على شمول كلِّ قولٍ يصدر من إنسانٍ، مهما دلّ هذا القول على أيِّ معنًى، وبأيّ لغةٍ كان.

شمول حالات القول

سِرُّ ذكر (الأقوال) دون (الأفعال):

اقتصر على ذكر الأقوال دون الأفعال في قوله: ﴿يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ مع علمه بهما معًا، وذلك لأنّ السّياق في صدد طلب الإعلان منهم بقبول دين الإسلام، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾، فذكر لهم الوحي، وطلب منهم إعلان الإسلام.

سياق الآية يقتضي الجهر بالقول

دلالة الواو في قوله ﴿وَيَعۡلَمُ﴾:

قوله: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ﴾ عطفَ جملة العلم بالكتمان على العلم

جمع الحالات القوليّة

بالجهر، والواو حرف عطفٍ للجمع، إذ إنّ كِلا العلمَين واحدٌ عند الله تعالى، فشمل كلّ حالات العلم بأقوال النّاس وما يكتمون في صدورهم.

سرُّ إعادة الفعل (يَعْلَمُ):

الله تعالى العالم بكلّ شيء

تكرار الفعل (يَعْلَمُ) لفائدة التأكيد على شمول علم الله جميعَ ما يخطر على قلب بشرٍ؛ فهو يعلم السِّرَّ والجهر ويعلم الإعلان والكتمان، والعلَمُ بالجهر والعلم بالسِّرِّ عند سبحانه سواء.

دلالة حذف متعلّق ﴿تَكْتُمُونَ﴾:

شمول المعاني المكتومة في النّفس

حذف متعلق الفعل ﴿تَكْتُمُونَ﴾ وذلك لفائدة التّعميم، أي: الإيحاء بشمول الفعل، وعدم تخصّصه بمفعولٍ دون آخر، فقد أفاد هنا عمومية ما يكتمه المخاطبون؛ بل عمومية ما يكتمه الناس جميعًا، وعموم ما يُكتم من الحقّ والباطل، والخير والشّرّ، وغير ذلك.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجهر والإعلان:

الإعلان لا يقتضي رفع الصوت والجهرُ يقتضي ذلك

الإعلان خلافُ الكتمان، وهو إظهار المعنى للنفس، ولا يقتضي رفع الصوت به، والجهرُ يقتضي رفع الصوت به، ومنه رجلٌ جَهيرٌ وجَهْوَري إذا كان رفيع الصوت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110].

الكتمان والإخفاء:

الكتمان في المعاني والإخفاء في المعاني وغيرها

الكتمان هو السُّكوتُ عن المعنى كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 159]؛ أي يسكتون عن ذكره، والإخفاء يكون في ذلك وفي غيره، والشّاهد أنك تقول: أخفيتُ الدِّرهمَ في الثَّوب، ولا تقول: كتمتُ ذلك وتقول: كتمتُ المعنى وأخفيتُه؛ فالإخفاء أعمُّ من الكتمان[1].

(1) العسكريّ، الفروق اللغوية: 447 - 448.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»